

بسم الله الرحمن الرحيم

القوة الإدراكية

للإنسان قوة إدراكية، فالحائط، والطاولة، والأحجار، والأشجار هذه الأشياء لا تدرك، فالإنسان مميز، ومفضل، ومكرم بهذه القوة الإدراكية.

مثلاً: مجتمع القروء منذ وجودهم على الأرض وحتى الآن، هل طرأ على حياتهم تطور؟ فهل سكنوا في البيوت؟ وهل اخترعوا أجهزة؟ وهل نظموا مجتمعهم؟ فالقرد هو القرد، لم يتغير ولم يتبدل، فالفرق الجوهرى بين الإنسان والحيوان هو القوة الإدراكية.

فالإنسان إذا عطل إدراكه عطل إنسانيته، أي إذا عطل إدراكه جعل نفسه في صف الحيوان، وهذا قول لا يحتمل المناقشة لشدة وضوحه ولشدة تشعب الموضوع، فلننبق في القوة الإدراكية التي خصها الله للإنسان والتي يتميز بها عن سائر المخلوقات ولاسيما الحيوان، ولها مشكلة، أنها عالية على العالم الخارجي والعالم الداخلي، وهي من دون عالم خارجي وعالم داخلي لا قيمة لها، حيث تتعطل وظيفتها.

نوافذ القوة الإدراكية على العالم الخارجي، الله تعالى جعل لنا نوافذ تطل عليه، فالبصر نافذة، والشم، والسمع، والذوق، والإحساس بالحرارة والبرودة، وكذلك الضغط وجميع الأعصاب والحواس هي نوافذ القوة الإدراكية على العالم الخارجي، ولو تخيلنا أن إنساناً أوتي من الذكاء ما لم يؤت أحد من العالمين وكان كفيف البصر، فهل يستطيع أن يعرف اللون الأحمر، وما الفرق بينه وبين اللون الأخضر؟ نرى أن كلمة أحمر، وأخضر وغيره من هذه الكلمات لا معنى لها إطلاقاً عند هذا الكفيف، فهذه القوة الإدراكية تستعين بهذه النوافذ، تحتاج إلى سمع وبصر وإلى نطق، فأى كائن أصم، وأبكم، وأعمى فهو لا يعقل، وهنا نجد أن هذه الآية تشير إلى ذلك، قال تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

هذه الحواس خلقها الله سبحانه وتعالى بقدر، قال الله تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

فإنك عندما تريد شرب الماء تراه صافياً نقياً، فلو وضعت منه قطرة تحت المجهر لرأيت آلافاً، بل مئات الألوف من الجراثيم والبكتريات والعصيات، فماذا تستنتج؟ إن هذه القوة الإبصارية محدودة، فإنك تستطيع أن ترى الأشياء على بُعد مئة متر أو مئتين، ثم بعد ذلك لا ترى شيئاً، وحدودها من تقدير عزيز، عليم، خبير، بصير، حكيم، ولو زادت قوة الإبصار أكثر من ذلك لما رأينا في الأرض جمالاً، وبعض الأماكن في أنعم جلد بشري ترى جبلاً وودياناً ونبوءات،

وعندما تم تكبير تحت مجهر يكبر 300000 مرة كان المنظر لا يُحتمل، فلو أن هذه العين كانت قوة إبصارها أكبر مما هي عليه لما كان في الأرض جمال، فقوة الإبصار المحدودة تعتبر نعمة من نعم الله عز وجل. الفضاء مملوء بالصور، فقوة الإبصار محدودة وكذلك الهواء مملوء بالأصوات، فالبث الإذاعي في العالم متعدد، وكل هذه الإذاعات أمواجها الصوتية مبنوثة في الفضاء، فجهاز المذياع يلتقط هذه الأصوات أما الأذن فلا تستطيع ذلك، وهذه من نعم الله عز وجل، فلو كان السمع غير محدود لسمعت كل الإذاعات دون أن تدخل إرادتك في أن تسمع أو لا تسمع، لذلك فإن الله عز وجل من حكمته جعلنا لا نستطيع أن نسمع تلك الأمواج الصوتية، والشم، فالشم محدود أيضاً، فلو أن الإنسان يشم الروائح الكريهة لمسافات بعيدة كرائحة دابة ميتة في بلد آخر لأصبحت الحياة في بلدك مستحيلة، ولكن حكمة رب العالمين إذا كانت رائحة كريهة على بعد 200 م فإنها تنتهي وتتلاشى، فراكب السيارة قد يشم رائحة كريهة في طريقه وبعد لحظات يبتعد عنها وتنتهي الرائحة، **إذاً هناك محدودية للحواس.**

فهل ننكر الأشياء الغير محسوسة؟ فمثلاً هناك أجهزة تطرد البعوض والذباب بواسطة أصوات يصدرها الجهاز تزجج البعوض والذباب ولكن لا يسمعها الإنسان، وتكون هذه الأصوات دون عتبة السمع، كما أن هناك أجهزة حديثة للقوارض تصدر أصواتاً لا يسمعها الإنسان ولكن القوارض تسمعها، فإذا سمعته هربت، ويستخدم في المستودعات، فهل يجوز للعاقل أن ينكرها لعدم استماعه لها؟ فنقول: إذاً إن الحواس محدودة لدى الإنسان، وهذه النقطة هي التي يجب أن نصل إليها، وقد قال علماء التوحيد: **" عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود "**.

هناك نوافذ داخلية أيضاً، إنك تكوّن بعض الحقائق من العالم الداخلي، ذلك لأن النفس تغضب، وتخاف، وترجو، وتفرح، وتحزن، وتقلق، وتستكبر، هذه المشاعر يدركها الإنسان عن طريق العالم الداخلي وليس عن طريق العالم الخارجي، إذاً هناك نوافذ داخلية ونوافذ خارجية، كالبيوت مثلاً فقد يكون لها نوافذ تطل على ساحة البيت ونوافذ تطل على الشارع، كذلك الإنسان له نوافذ تطل على العالم الخارجي منها يكوّن مدركاته، وله نوافذ تطل على العالم الداخلي ومنها يكوّن أحاسيسه. ما هو الخيال؟ هو القدرة على التصور، يتصور الإنسان أن له بيتاً يطل على حديقة وعلى جنبها أشجار سرو، وأشجار مثمرة متنوعة، وفي الحقيقة لا يوجد عنده شيء من ذلك، فما هذا الخيال؟ فلو قلنا لإنسان: تخيل أن لك بيتاً، فإنه يتخيل مسكناً له سقف، وجدران، وأرض، فهل يستطيع أن يتخيل غير ذلك؟ وكذلك لو قلنا له: تصور حورية نصفها امرأة ونصفها سمكة، فإنه يستطيع تصور ذلك، لأنه يعرف المرأة ويعرف السمكة فيتصور ذلك، فالخيال البشري لا يستطيع أن يتصور شيئاً من لا شيء، إنما يستطيع أن يتصور شيئاً من شيء، إذا كنت لا تستطيع أن توجد صورة خيالية من لا شيء، فكيف بإمكان الإنسان أن يتخيل الجنة وهو لم يرها؟ **فالحوض في الغيبات ليس من العقل. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ**

الله: ((أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَأَقْرَأُوا
إِنْ شِئْتُمْ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)) ((فالخيال يجب ألا يجول في العالم الآخر،
وذلك لأن الخيال لا يأتي إلا بشيء من شيء، أما من الجنة فلا نرى منها شيئاً، وقد قال العلماء:
"نحن نكتفي بعالم الغيب بالخبر الصادق الذي ورد في كتاب الله"، لا أقل من ذلك ولا أكثر، فإذا
كنت عاجزاً عن تخيل الجنة فهل تستطيع أن تتخيل ذات الله عز وجل؟ لذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: ((تفكروا في المخلوقات ولا تفكروا في الخالق فتهلكوا)).

عقلك مربوط بحواسك وخيالك مرتبط بالواقع ولن تستطيع التجاوز، وهذا الكلام يراد
منه أن العقل أو الفكر البشري عندما يعجز عن الوصول إلى شيء فهذا لا يعني أن الشيء غير
موجود، ولكن العقل الذي وهبنا الله إياه له طاقة محدودة، لحكمة بالغة أرادها الله عز وجل، مثلاً:
ميزان يزن 30 كغ تضع عليه سيارة، ينكسر ويتحطم، فهل نقول: إن هذا الميزان ليس جيداً؟ لا بل
هو ميزان جيد ولكن مخصص للأوزان التي لا تتجاوز 30 كغ وليس لسيارة، من هذا المثل
يتضح لنا أن الإنسان عندما يكلف عقله فوق طاقته، ثم يخفق فالخطأ ليس في عقله بل في سوء
استخدام العقل، لأن العقل مربوط بالواقع، والواقع فيه زمان ومكان، مثلاً يقال: إن هناك جريمة
وقعت، فنقول مباشرة: متى وأين؟ فالعقل البشري ليس عنده إمكانية أن يتصور حدثاً إلا وله زمان
ومكان، ولكن الخالق ليس كمثله شيء ولا يسأل عنه أين هو؟ لأنه خالق المكان ولا يسأل عنه:
متى كان، لأنه خالق الزمان، فكلمة (متى) و(أين) في حق الله مستحيلة، لأنه خالق الزمان
والمكان، فعدد السنين هذه من اختصاصنا نحن البشر، أما بالنسبة لله فالزمان صفر، لا يقيد
زمان ولا مكان.

فالإنسان العاقل يعقل الحقائق التي ذكرناها سابقاً: " عدم الوجدان لا يدل على عدم
الوجود"، إذ إن الفكر البشري محدود بالحواس، وخياله يمد من الواقع والواقع محدود،
فأتى لهذا الفكر البشري المحدود بالحواس والحواس يحدّها الواقع أن يدرك اللامحدود،
معرفة الله لا تكون إلا من معرفة آثاره فقط أمّا معرفة ذاته فمستحيلة،

لا تبحثوا في ذات الله عز وجل وبعلمه فهو يعلم بلا كيف، وهذا اختصار للبحث في
علم الله الذي لا يمكن أن يدركه عقل أي إن هناك أسئلة خطيرة في العقيدة ينبغي أن نقف
عندها ونقرأ:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

فهناك موضوعات من اختصاص الفكر البشري، وهناك موضوعات فوق الفكر
البشري يجب عدم الخوض فيها، وإذا عجز الفكر عن إدراكها فلا ينبغي أن ننكرها، لأنه كما قلنا:
"عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود".